القصص

من الأدب التركي

المعلمة الصغيرة..

ترجمة الآنسة الفاضلة (فتاة الفرات)

ركبت عربة الترام ولم يكن فيها غير السائق الذى كان مغمضاً عينيه يستريح قليلاً من عناء أربع عشرة ساعة ، أما بائع التذاكر فكان جالساً فى المكان المعد للسيدات يقرأ جريدته على ذلك الضوء الشاحب الهزيل الذى كان ينفذ من زجاج ذلك المصباح الأغبر ، وليس يعلم إلا الله كم مرة أخرجها من جيبه وأعادها اليه . وكأن دخولى الى تلك العربة وهى آخر العربات فى ذلك الوقت من تلك الليلة الشاتية نفخ فيها حياة بعد أن كاد يقتلها الأعياء ، فقد أفاق السائق من نومه وفتح عينيه المغمضتين ، وأبعد بائع التذاكر الصحيفة عن وجهه وصعد بصره فىّ كأنه يقول : وهل بقى من راكب بعد أن مضى الهزيع الأول من هذا الليل الممطر ؟ . ثم قام الأثنان ونظرا الى الخارج كأنهما يريدان أن يريا المطر الذى كان يسفع زجاج العربة بشدة ، وعادا فى الحال كل الى مكانه لأن وقت الحركة لم يحن بعد ، فأغمض السائق عينيه ، ورفع بائع التذاكر جريدته الى وجهه وأخذ يقرأ .

جلست وفى نفسى أن انتظارى سيطول ، لقد كان منظر العربة مؤلماً جداً ، كانت أطرافها ملوثة بالطين ، وكان زجاجها مستوراً بطبقة من مياه الأمطار التى كانت تسيل عليها ، وكان نورها ضئيلاً ، وهى واقفة تحت سيل الأمطار الذى لم ينقطع منذ ساعات وقفة حزن وملل تنتظر الوقت لتسير . كم كان مؤلماً منظر الخيل[1] وهى تنتظر بفارغ الصبر العودة فى تلك الساعة الى اصطبلها الدافئ ، ومنظر السائق الذى هدّ التعب جسمه وغلبه النعاس فلا يكاد يرفع رأسه ، ومنظر بائع التذاكر الذى كان يود النزوح ولو بخياله عن خط الترام الذى هو كل ماتراه عينه فى كل يوم منذ الصباح حتى المساء ، فهو يتلهى بالنظر الى جريدته كلما سنحت له الفرصة . .

كنت وأنا أنظر الى المياه التى كانت تسح من مظلتى التى ابتلت من المطر الغزير فتؤلف دوائر ، أقول فى نفسى : « إن هذه العربة التى كادت قطعها تنفصل عن بعضها لكثرة ما حملت من الناس لأراحتهم ، وهذين الحيوانين اللذين أكل عليهما الدهر وشرب ، وهذين الرجلين البائسين ، وهذا الخط الحديدى الذى يفسح لنفسه الطريق بين الأوحال من « الجسر » حتى « جنبرلى طاشى » . كل هؤلاء مكلفون فى هذا الليل المدلهم بحمل وحدى بأجرة لا تزيد على قرش واحد » .

دق الجرس فجأة ففتح السائق عينيه ونهض يتمطى ، ونظر

(١) كانت عربات الترام فى الزمن القديم تسير بالخيل لا بقوة الكهرباء كما هى الآن

ذلك . ولقد ساعدت عملية الردم والتكوين التى تقوم بها الأنهار بما تحمله من غرين وغيره أثناء طريقها على حفظ آثار الانسانية ، حتى جاء بورشيه دى بيرث B. De Perthes فوجد فى بلدة آبفيل Abebville صخورا نارية (كان الناس وقتذاك يعتقدون أنها من مخلفات الصواعق) اعتقد أنها من عمل الانسان ووجد بها أثرا من فن الانسان ، واعتقد أن الانسان قد استعملها قديما كـ(بلطات) يقطع بها الاشجار وغيرها ، أو يدافع بها عن نفسه وقت الخطر . كذلك وجد فى نفس الجهة عظاما متحجرة لحيوانات قديمة منقرضة ، وهنا نظر اليه الناس كنظرتهم الى من بعقله مس من الشيطان ، لأن العظام التى كشف عنها ترجع الى عصر Pre Deluvian وهو عصر اعتقدوا أن الانسان لم يوجد فيه . فكيف بهذا الرجل يقول إن الصخور التى وجدها من قطع وتشكيل من لم يكن قد وُجد بعد ؟ . .

يتبع

نعيم على راغب

الى ما حوله حيران كأنه يعجب من وجود عمل يجب القيام به فى ذلك الوقت من الليل لأتمام عمل النهار . فحرك يديه وسار . فتح الباب فهجمت منه موجة هوائية باردة ، ثم خرج وأغلقه خلفه وبقى وحده معرضاً لموجات الهواء التى كانت تلطم عربة الترام .

انتفضت تلك العربة الكبيرة الثقيلة وتمطت واهتزت كأنها هى أيضاً كانت نائمة ، وتحركت بحركة مزعجة ، وأرسلت أصواتاً كأنها شكوى عميقة يثيرها اضطراب دائم ، ثم سارت وهى تحمل مع اضطراب ألواحها الزجاجية جسمين مضطربين وهما بائع التذاكر وزبونها الوحيد .

تقدم بائع التذاكر من الراكب الوحيد وسلمه تذكرته واستلم نقوده من غير أن ينبسا ببنت شفة ، ثم عاد بائع التذاكر الى جريدته يقرؤها ، وعاد الراكب الى ما اجتمع تحت مظلته من المياه ينظر اليها .

فى تلك الأثناء كثر اهتزاز العربة ، وأخرجت أصواتاً مزعجة كأن أسنان تلك العربة ، ذلك المخلوق البطىء ، تعض الخط الحديدى بشدة ، مظهرة ألمها واستياءها ، وصلنا الى « سركه جى » فلم ير بائع التذاكر حاجة إلى وقوف العربة ، وهى آخر العربات حركة ، لوثوقه أنه لا يوجد راكب فى مثل هذا الظلام البهيم ، فصفر معلناً الحركة ، ولكن السائق صاح قائلاً :

— راكب !

وقفت العربة فقلت فى نفسى « شىء مؤلم ! كم كنت مستريحاً وحدى ! » ثم فتح الباب فما كدت أبصر الداخل حتى تغير رأيى ، فقد كان الراكب الجديد فتاة شابة قد ابتلت ثيابها من المطر لأنه كان ينزل عليها فلا ترده عنها مظلتها الصغيرة ، كانت صفراء الوجه من البرد ، وكانت شفتاها متقلصتين وأسنانها مصطكة ، وعليها ثوب أبيض فوقه معطف بنى اللون لا يشك الناظر اليه فى أن ذلك الشتاء لم يكن أول شتاء مر عليه . جلست بهذه الهيئة الفقيرة المؤلمة فى الجهة المقابلة لى ، وفى الحال مدت يدها الجامدة من البرد فى تمازها الذى امتدت منه أطراف أصابعها والمخيط بأسلاك بيضاء ، الى جيب معطفها لتخرج منه حقيبة النقود ، فأخرجت منديلا أبيض ثم حقيبة تقادم عهدها وحال لونها لكثرة الاستعمال وتمزقت حوافها ، فأخذت تعالجها لتفتحها فلم تقدر كأن قفلها قد تعطل ، فعالجتها المسكينة كثيرا ، والحقيبة مصرة على ألا تنفتح ، وبائع التذاكر واقف أمامها يهتز ذات اليمين وذات الشمال من حركة الترام وجريدته تحت إبطه ، ينتظر النقود منها ، لقد مللت النظر إلى الماء المتجمع أمامى من المظلة فرفعت رأسى وأخذت أنظر اليها نظرى إلى شىء جديد ، كانت هى على ما يظهر من حالها متألمة من عدم تمكنها من فتح الحقيبة بسرعة لأنها كانت تعالجها كمن يود كسرها ، وأخيراً فتحت الحقيبة فأدخلت أصبعها فيها وأخذت تطوف بهما فى جوانبها على ضوء العربة الضئيل .

لقد شعرت وأنا فى مكانى أن الحقيبة لا تحوى أشياء كثيرة يحتاج المرء معها إلى كثرة البحث والتنقيب ، أدخلت يدها وهى

ابن سعود

سياسته ، حروبه ، مطامعه

بقلم

مصطفى الحفناوى

عن وليمز وآرمسترونج «بتصرف»

ثمنه ١٢ قرشاً ، ويطلب من المطبعة المصرية بالأزهر تليفون ٥١٧٠٤

ومن مكتبة الهلال بالفجالة ، والمكتبة التجارية بشارع محمد على

فى القفاز المزق حتى غابت فى الحقيبة وأخذت تبحث عن شيء صغير مختبيء هناك .

بعد بحث طويل لمع بين أصبعيها شيء صغير وهى تخرجه من الحقيبة فناولته الى بائع التذاكر الذى لم يشأ أن يقطع لها التذكرة قبل أن يستلم النقود . . . . فتنفست الصعداء كأنها خرجت من مهمة صعبة وتمكنت من مقعدها كل التمكن . ثم رفعت عينيها اللتين لم أستطع أن أعرف لونهما تماماً .

لقد كانت تارة تنظر والعربة سائرة إلى قطع الجلود المتدلية من المسامير التى فى سقف العربة ، وآونة الى المطر الذى يسح من زاوية العربة ، ثم الى مافوق رأسها لتعلم أين مكانها منه ، وطوراً تقارب بين جفنيها وتتأمل فى ضوء المصباح الضئيل ، إلا أنها ضجرت من كل هذه الاشياء وسئمتها ، فمسحت بظهر يدها زجاج العربة المبتل ونظرت الى الشارع ، لترى أقربَ مكان نزولها أم لايزال بعيداً ؟ إلا أنها لم تر غير أشعة المصابيح الضئيلة التى تشع من الحوانيت القليلة فى هذه الليلة الباردة فترقص أشعتها فوق الطين التراكم فى الشوارع .

وأخيراً نظرت الىّ نظرة عجلى كأنني آخر ما يمكن أن يعرض على نظرها من الأشياء التى حولها ، ولكنها وجدتني كبقية الاشياء التى استعرضتها أمام ناظريها ولم تجد فيها مايوجب العناية ، فأعرضت عنى واستندت على مسند المقعد ، ومدت رجليها وفيهما حذاءان عتيقان قد قطع زر أحدهما وتمزقت عروة الثانى ولكنهما كانا جميلين ، ووضعت إحدى رجليها على الأخرى ، ثم أصلحت قبعتها وأسندت رأسها إلى ما خلفها وأخذت تنتظر .

هل كانت جميلة ؟ لا أدرى ! ولكنها مع ذلك كانت مركبة من أعضاء صغيرة ، حتى ليخيل للناظر إليها أن رجلاً من المولعين بالأشياء الدقيقة قد صاغها هذه الصياغة وركبها هذا التركيب ، فهى مليحة بعينيها الصغيرتين ، وفمها الرقيق ، وأنفها الدقيق ، ووجهها المخروط ، ولم يكن فى ذلك الجسم المركب من تلك الأعضاء الصغيرة طويل غير قامتها ، فقد كان طولها لا يتفق وصغر أعضائها ، ولكنها مع ذلك لم تكن خالية من الملاحة .

لقد كنت أشعر بشيء غريب لوجودى فى تلك الليلة الشاتية فى تلك العربة بجانب تلك الفتاة منفردين ، كنت أشعر بلذة غامضة كالتى يتوهمها الانسان عند قراءة شعر لايفهم معناه .

وفى تلك الأثناء رفعت رأسها بسرعة ومسحت زجاج النافذة ، ونظرت طويلاً نظرة تدل على ضجرها من التأخر . وكنا فى ذلك الوقت نسير فى محلة (چيفته حاووضلر) وكنت أقول فى نفسى « أين تذهب هذه الفتاة فى مثل هذا الوقت فى مثل هذه الحالة الجوية ؟ » ثم ارتدت مسرعة عن النافذة ، وانحنت قليلاً كأنها تريد أن تكلم بائع التذاكر الذى كان مغطياً وجهه بجريدته يغالب النوم ويغالبه ، ولكنها لم تجرؤ أن تكلمه فنظرت إلىّ نظرة تدل دلالة واضحة على أنها تريد أن تسألنى عن شيء ، فنظرت إليها نظرة أسألها فيها عما تريد ، إلا أنها بصورة من الصور لم تجد قدرة على الكلام فسكتت ، ونهضت على رجليها ونظرت ثانية من النافذة ، وفى هذه المرة ارتدت مصفرة فقلت لها :

— كأنك تريدين أن تسألى عنّ شيء أيتها الآنسة ؟

فقالت بصوت رقيق يشبه جسمها الصغير بلهجة تدل على الحشمة والوقار :

— عفواً ياسيدى ، فهل « الجسر » بعيد عنا ؟

فقلت :

الجسر ؟ أنت مخطئة أيتها الآنسة ، إن هذه العربة تسير بنا إلى « آق سراى »

فنظرت إلى وجهى نظرة جامدة كأنها لم تفهم شيئاً ، وبعد أن وقفت مدة على هذه الصورة لاتجد فى نفسها قوة على الاستيضاح قالت :

— إذن نحن الآن لا نسير نحو « الجسر » ؟

لفظت جملها هذه بصورة تدل على فزع شديد علمت منه أنها ارتكبت خطأ ، فداخلتنى عليها شفقة وقلت :

— أنا آسف جداً يا آنسة ، أنت تريدين الذهاب إلى « الجسر » إلا أنك ركبت عربة تسير عنه لا إليه ، وقد أوقعك فى هذا الخطأ ظلام الليل ودهشة المطر .

كانت تسمع كلامى والبكاء يكاد يغلبها على عينيها وتقول بصوت مسموع : لقد تأخرت كثيراً . ثم قالت بصوت يخالطه شيء من الأمل :

— إذن سأعود أدراجى من أول موقف .

لقد وصلنا إلى موقف « صالقم سكود » فقلت لها :

— إنك مضطرة إلى الرجوع راجلة ، فهذه آخر عربة ولا أظن أنك تجدين عربة فى هذا المطر .

فلما سمعت ذلك اضطربت اضطراباً عظيماً ، وفى ذلك الوقت استيقظ بائع التذاكر واقترب منا يشاركنا فى الحديث ، ثم قال مبرئاً نفسه من التبعة :

— لماذا لم تذكرى لنا المحل الذى تريدين أن تذهبى اليه ؟ .

فلم تجد تلك المسكينة حاجة الى الجواب ، فنظرت الىّ نظرة حائرة تطلب بها المدد والمعونة ، وقالت :

— لطفاً يا إلـهى ، فى مثل هذه الساعة ، فى هذا المطر ، وفى مثل هذه الأزقة المظلمة الخالية كيف أستطيع السير وحدى ؟ .

لم أجد حاجة لاتخاذ قرار بعد ذلك فى هذا الشأن ، فقلت لها :

— أيتها الآنسة ، هل لك أن تقبلى مرافقتى حتى الجسر ؟.

فنظرت الى دهشة وصاحت :

كيف ذلك ياسيدى ؟ كيف تعود لأجلى فى هذا الهواء ؟ وكيف أستطيع أن أقبل هذه التضحية ؟ . .

على أنه لم يكن أحسن من هذا الحل ، لأن السائق كان بفارغ الصبر ينتظر الحركة ، وبائع التذاكر ينتظر أن نعطى نتيجة حاسمة فقلت لها مصراً :

— أنت لا تقدرين على العودة منفردة فى مثل هذا الوقت ، ومن مثل هذا المكان ، مع أنى أتمكن من أن أركب عربة وأعود من الجسر ، وذلك يسير علىّ .

فنظرت الى عند ذلك نظرة فاحصة ، وبتلك النظرة علمت صفاء نيتى وصدق عزمى فأظهرت الأطمئنان وقبلت مرافقتى قائلة :

— سمعاً وطاعة يا سيدى ، لقد أظهرت إنسانية نبيلة وعطفاً كريماً ، وأنا أقبلها مع الشكر .

فتح بائع التذاكر الباب ليشرح للسائق القصة ، فنزلنا نحن من الباب الثانى ، وتحركت العربة فى الظلام كأنها خيال ذو عينين صفراوين ؛ كان المطر إذ ذاك رذاذاً إلا أنه كان متوالياً ، ففتحت الفتاة مظلتها ، فلما تأملتها وجدتها ممزقة الأطراف ، وفتحت أنا أيضاً مظلتى وأخذنا نمشى متكاتفين بقدر ما تسمح لنا المظلتان . كانت فى ذلك الظلام الدامس فى تلك الشوارع الخالية تشعر أنها محتاجة الى الاقتراب منى بدافع غريب مجهول المصدر يدفعها الى ذلك ، وكنت أنا أشعر بلذة منشؤها حمايتى لفتاة فى مثل هذا الوقت . على تلك الحال كنا نمشى صامتين لا نتكلم ، وكانت توسع خطاها لئلا تضطرنى الى المشى البطىء .

كنت وأنا فى الترام فى شك من جمال هذه الفتاة ذات القامة الهيفاء ، ولكنها الآن فى الظلام كانت تتراءى لى جميلة .

إن هذه المصادفة غريبة جداً ، وأظن أن تلك الفتاة التى رأيتها لأول مرة فى حياتى وبسطت عليها ظل حمايتى لو كانت غير جميلة لكانت اللذة التى أشعر بها الآن ناقصة ، كنت أقول وأنا سائر بجانبها : يا لجمال عينيها الصغيرتين .

(البقية فى العدد القادم) تزيلة بعلبك (فتاة الفرات)

تفسير سورة الفاتحة

للإمام

الفخر الرازى

به عشرة آلاف مسألة ما بين لغة واجتماع وأدب وتاريخ وتصوف الخ

ثمنه عشرة غروش صاغاً

يطلب من المطبعة المصرية بالأزهر تليفون ٥١٧٠٤